الرسائي
(1877م - 1945م)
(1397هـ - 1465هـ)
الدكتور داود سلوم

1 - حياة الشاعر:
ولد معروف بن عبدالغني الرصافي في رصافة بغداد من عائلة يرجع اصولها إلى اكراد العراق وكان هذا الحدث السعيد بالنسبة لابنه عام 1393هـ/1876م. وتعلم معبدة الكتابة والقراءة في كنائس بغداد ثم أدخل المدرسة الرشدية العسكرية وبعد ثلاث سنوات هجرها، ونال الامتحانات والillator بمدرسة شكري الألوسي وعين مدرسا في مدرسة إبداعية في "الراشادية" وقضى فترة من حياته بين الشعر والتعليم. فقد درس بعد ان ترك الراشدية في مدرسة "الاحداثي العسكري" في زمن نامي باشا حتى اعلان الدستور عام 1908.

وتظهر من شعر الرصافي الذي نظم قبل الدستور صلة بتأثيرات الثقافية الحديثة والفكرية السياسية التحريمية التي كانت تدعو الى الاستقلال الاصطلاحي والمساواة الاجتماعية مع الرعايا في الدولة العثمانية وعلى هذا فقد خلق الرصافي لباس التقدم وليس لباس الدنيا الحدثية واستبد الطربيه بالعامة كما استبدل الأفكار التقديمة بالافكار الجديده اين شره الممكنا له ادبه قبل الدستور دعت احدهم الى دعوة الى القسطنطينية لاصدار مجلة عربية باسم "اقدام".

وحين ذهب الى هناك لم تتحقق الفكرة فرجع الى بغداد وفي طريقه مر بيروت عام 1910 فطبع فيها الجزء الأول من ديوان الرصافي، واستمعي ثانية الى القسطنطينية وعين هناك مدرسا في دار المدرسين الملكية ومدرسة الوعاظ التابعة لوزارة الوقف ومحرا لجريدة عربية تسمى "سبيل الرشاد" ثم عين هناك نائبا عن لواء المنتفكي.
وكانت أفكار الشاعر السياسية قبل الدستور ضد الخلافة وكان الخليفة
رمز الظلم والطغيان:
ولى أمها عبد الحميد (1)
وهي في أول أمره ضد فكرة التنسيق الديني لعله أن بعض العرب هم
من المسيحيين ومع أنه لم يكن مؤمنا بهذا النوع من المساواة إلا أنه كان يدافع
عن الفكرة في حد ذاتها، قال:
اذ جمعتنا وحدة وطنية
فماذا علينا ان تعدد اديان (2)
وقال بعد إعلان الدستور:
هي المساواة عدنا فما تركت
فضلا لبعض على بعض وتميزا (3)
ولكن سرعان ما انشق العرب المسلمين على العرب المسلمين وسقط
الجمع الأول تحت تفوّذ فرنسا في لمهم على التفريق:
إني مصالح دنياهم وهم عرب
جاءوا على حسب الأديان ترتيبا (4)
ونهبهم إلى خطر الفرقة وخطر الاستعمار الفرنسي:
لكن باريز ما زالت مطامعها تزور إلى الشام تصعبدا وتصويا (5)
وما إذا أعلن المتحصنون منهم بأنهم ليسوا عربا حتى صرح لهم بأن العرب
المسلمين كانوا قد ضحوا كثيرا في التنافل عن حقوقهم الطبيعية في السلطة في
سبيل وضع الألقاب:
وكنا اجتثاءتهم باليد او جابة
بها قد تركنا جاني الدين مزور (6)
وظهرت في هذه الفترة الدعوة إلى الجمهورية صريحة في شعره:
أن الحكومة وهي جمهورية
كشفت عملية كل قلب مضائل (7)

د.ι.ون (طبعة السقا) ج1 - 2 القاهرة 1٩٤٩ ص ١٣١
(2) نم ص ١٣٢
(3) نم ص ٢٨٠
(4) نم ص ٣٩٥
(5) نم ص ٣٩٥
(6) نم ص ٤٠٨
(7) نم ص ١٢٣

---
وخاطب الناس في عهد الخلافة:

يا أمة رقدت فطلال رقادها
هي وفی أمر الملوك تأملي (8)

وله رأي سائر:

عجبت للناس فن الدنيا فحلتهم
مع الملوك صريح العقل يجدها
ان الملوك كالإسلام مثلة: الناس تنبها والناس تعبدها (9)

وأما أعلنت الحرب العالمية الأولى حتى اتجه ثانٍ إلى الدعوة إلى
الوحدة الإسلامية عوضًا عن دعوته إلى القومية العربية وقال عدة قصائد

منهما:

لا زلت يا وطن الإسلام منتصرا
بالجيش يرفع من ابناؤك الأمها (10)

وقال على لسان العراق بعد سقوط بغداد:

إذا بقى على الوقاء وإن كان
انت بقلبي من أحب جراح (11)

وهجا الملك حسين الذي كان رمزا للثورة العربية على الارثاك
حتى بدت مخزيات اللؤم مشتركة
من الحجاز حسينا ثانيا
فتعاف الس📁 في جر واعترما
اذ راح بالانكليز اليوم متنعوا
وقد كسبت هذه القصيدة وبعض الأهميات الأخرى التي تسند عليها
كره العائلة المالكة حتى أواخر أيامه وموعدها فقيرًا لي اباد حذور الأعداء
والقفر.

ولما أعلنت الهدنة عام 1918 ورأى الارثاك موقف العرب منهم طردوا كل
العرب والراعي إلى جزء حدود تركيا فخرج الرصافي فين خرج وجه إلى
الشام آملًا أن يجد ترحيبًا من الحكومة العربية برئاسة فیصل ولكن فیصلها
كان قد وفر صدره عليه لهجاله ابه وتصوير الحركة العربية كجزء من خدمة

(8) نفس المصدر هي 163
(9) ن م ص 501
(10) ن م ص 482
(11) ن م ص 411
استعمارية كبرى فعض فيصل الطرف عنه وأهلته والظاهر ان السياسة الانكليزية أرادت وضعه تحت جناح رحمة الاستفادة من موهبه فاستدعى الى القدس للتدريب في دار المعلمين فاتهمت له حفلات التكريم والضيافة وعين مدرساً برتب 30 ديناراً ومن القدس توجه إلى الحركة القومية في الشام يهاجمها عندما أصبحت خطرًا على الاستعمارين الانكليزي والفرنسي وحوف تبه القوميين وقيامهم بشورتة أخرى ضد الغازي الجديد وقد يحبسه للعامل الشخصي في هذا الهجوم حسابه وقال مورخ قيل 33 سنة عن إقامته في القدس: "وعلم ان الوقت قد حان لأخذ الانتقام من خصومه في الشام الذين لم يقدرو قدره... انبرى يراعه في تدبيج المقالات المرة وارسالها عليها كشواوش من نار...

ولكن علينا ان نشير هنا منذ وقت مبكر في هذه الدراسة بأن الفرق واضح قائم في ذهن الرصافي بين قادة هذه الحركة وبين اختلاصه لوطنه وامته ان حب الرصافي لوطنه وامته حب لا يمكن أن يوصف فانه في الواقع كأسال هو: (وسع الأكسبان والزمان)

ويبدو أن الرصافي كان موجوداً في العراق في وقت استقبال فيصل في بغداد وبعد ثورة العشرين ولم يشهد الشاعر ثورة العشرين ولم يسمع له صوته في الثورة ولم يقل فيها شعرًا ولم يدافع بسيف أو قلم. ولم ينس الرصافي عداءه للقائد الجديد الذي حرمه العمل في الشام.

 فقال ساخرًا: خرج الناس يهعون احتفاء بقدوم الأمير غير الامير ولتلق هم الحفاوة منهم انهم يحتفون لا عن شعور وحين وفد الرشيد ولية الأمير الجديد في داره كان الرصافي من الخطباء. في هذه الوثيقة وقال شعرًا في مدح الأمير الجديد: اما وقد طلع الرجاء يشع انوار السحرور في دار مولانا التقيب ووجوهه مولانا الأمير.

(12) السيئوري: لب الآيات 24 ص 337 - 241 -
يُوسفتنا انا لا نتسكين أن نخبر القارئ كم مضى من الوقت بين شعره الاول وشعره الثاني ولا نظن أنه كان بينهما أكثر من شهر واحد.

وان العلاقة بين هذين الرجلين طويلة تستحق التسجيل والملاحظة فالظاهرة ان فيصلنا لم ينس حقده القديم على الرسافي وإن الرسافي لم يحصل عليه ما يجيء وكان يعلم ان شخصية الملك هي العقلة الكؤود فظل قلنا مترددا بين المدح والهجاء والرثاء فها هو يمدح:

"أفيصل انتم فيصل كل حكم وهم:
واطوان وليس له رعاية ولن ملك وليس له حدود.
وقال في هجائه:
والسعوم صسار مليكتنا ظلالهن كالكلوز.
وقال:
وقد ملك بلادنا هور نورة واذا ملك بلادهم زرويغ.
وقال عن العراقين وهو في الشام:
لهما سيف القيسيين عاصبا.
ولا كان في يوم له الشعب ناخبا.

وشرح موقفه مرة للملك فيصل وأعلمه أن مهاجمته لوالده جاءت من وجهة نظر معينة وان مهاجمته للعرش ليس المصعود بها فيصل، بالذات ولكن المصعود بتلك المهاجمة انا هو "المزرك" وفي ذلك تحالف وتبرح دون شك.

واراد يتقرب من السلطة وان يحصل على المساحة فرثي الملك حسباً.

وقال:
بذا وجه العروبة في حلوك خادم مدى الصين أبو الملوك
لقد نزعت من غمز وَلَمَّـز
(14)
(13) ديوان الرصافي ص 320
227
ورثي فيصلا:

ابو غازي قفقيم غازى
قصى بدر المكار والمعالي
وحيدرة المبارك والمغازي (14)

ومدح نوري السعيد:

سعد العراق فغفره باسم (15)

نوري السعيد أبو صباح ومن به
وهجهان:

ولست بالرجل السعيد

قل لي برك يا سعيد

وان كل هذا التذبذب في العقيدة السياسية يشرحه طموح الرضافي الى
الحكم او شيء يشبه هذا. فهو لا شك كان يعلم في الفترة الأولى من تأسيس
الحكومة العراقية بالوزارة او بعمل مهم خاصة وإنها كانت فترة «تعمين» لا عن
مقدرة وانها عن غني او مقرر او صلاحية الخ

وهاذا هو يصبح على صوته في عام 1922 يخاطب اولى الامراء:

وما عائلي بطلهم عن مناصبهم
وقاطعين التي ما ابتغي طرقي
وما علمت الذي ترضون من خلفي
حتى يكون لديكم حائر السبق
وان كان حق فاني احق الحق

بما تريدون من تير وم نتبق (15)

وأهم ما شغل الرضافي من أعمال الحكومة العراقية بين 1921 و1930 هو:

انه عمل نائبا لرئيس لجنة الترجمة والتعليم في وزارة المعارف وحضر كذلك
في كلية الملك عبد الله ثم عين نائبا في المجلس ووفق ضد المعاهدة العراقية
الانكليزية كما ذكر حيث ضى كيه اما الكاتب المهجري الريحاني فقد ذكر
في كتابه انه كان مع المعاهدة.

ان شركة الرضافي وخلقه وطموحه يضاف الى سحره وهجائه اللاذعين

(14) نفس المصدر ص 326
(15) ديوان الرضافي ص 506
الذين استخدمهم للحصول على رغباته – حدد موقف حكومات العهد البائد منه وكذلك العائلة المالكة والاستعمار الإنجليزي فهو من الناس الذين لا يشتركون بسهولة.

وأما بين 1930 و 1940 فلم يعمل الرصافي في عمل حكومي واننا عاش من إحساس اصدقائه وترك العراق مرارا عديدة ثم عاد اليه وبعد عام 1937 التحياه إلى النفوذ وممتلكاته وقد تزوا من تمدة فترة مكثرة بالزي العمراني ووضعته بالساحة وطماعه إلى عزلة تشبه عزلة غاندي وحين تار العراق عام 1941 على الانكليز وضعفا عائلة الملكة بخروج عزالله حزين بثورة الشعب الجديدة وهما الانكليز وعزالله هاجم مرا وهو بذلك قد قطع فضاء مبرما على كل ما استفاد من الخدمة العامة بالتوظيف وزادت حالة الرصافي الاقتصادية سواء على مرور الزمن وجماهيره الكثيرة ونسبة العراقيين كعادتهم حتى مات عام 1945 في بيت خاله من كل شيء حتى من مقعد أو سبارة لتأخذها الشاعر وكان قد جاء إلى بغداد للمعالجة فمات في الأعظام. ووصف الشاعر الجوووري الآتي الأخيرة من حياة هذا الشاعر البائس:

"حتى انتهى (الرصافي) 1900 مساء يوم 16 آذار من عام 1945 في تلك الغرفة الجردي التي لا انضامها إبدا وكاننا آنا فيها الآن وكان الرصافي – وهو ذلك امامي – على سرير من السرير الرخيمة لولا أن الرصافي هو الذي كان يعلن عليه وكان هو الآن وقد احس بي وانا ادبر على اطراف أصابعي لأتا اوقظه وكانت الجريمة هي في اين اجلس أذ ليس في الغرفة كرسى أو خشبة أو حتى جبر للجلس وكانت هنا في هذه الساعة لغيرها اذ تبدت الجريمة باستيقات الرصافي ويوجعه محلا على طرف السرير فيما يحمل على نفسه فاحش عليه ملمسا

الأ يفعل فيائي فاقطن فاتحدث إليه اخر حدث وأوجبه قبل ان يموت آذام قد اضطهى (عمر الرصافي) في هذه الغرفة الجردي ولم يعدل عليه استار فان احلف صادق وكان الجو مشمسا والضوء يودي عيون الرصافي وكان على درجة من الحرارة لا يطلبها مريض مثقل لا بد من ان يمد عليه الغطاء احلف صادقا انه لم يكن في غرفة صاحب هذا الجبل كل ستار" (11).

اعتقد أن سببا من أسباب بلبلة الرصافي الفكرية والتي سببت له كل هذا

(1) مهرجان الرصافي، بغداد 1959

- 229 -
الألم والذئب هو تأثير الافكار الواردة ودعاتها عليه. ففي كل فترة يتبنى فكرة وفيد كل يوم له هو في رأسه، كسبب عداء كثير من الناس من مساهمة ثم تخلى عنه.

وان الشبه الآخر هو خلق الرصافي، فالرصافي في خلقه الذي كتب عن الثقافة العربية جعله أكثر الناس، إباء وكبراء وترفها. فالحقيقة أن الإنسان حين يقرأ ديوانه يضطر اضطرارًا إلى الاعتقاد بشيته ويبذله وعزة نفسه فهو نفسه يغري أنه كان ضحيته هذا الإباء قال:

فلا تسى يا فخري إبائي فاني ضحية هذا الجامع المنفرد
ويشرح في الإيات التالية نفسه مع فترة مبكرة من شبابه:
واني لاهوى الحق كالطيب ساطعا
كالريح هبابة وكالشمس ظاهرا
واعته سيرته في شواهد سريعة
واذره فقها أولاً فدفع ضAus.
ومن أجل مقتني للمخانيث انكرت
وأما العجر إلا إن تكون مكانتها
والولا طموحى في الحياة إلى العلي
فان قسمًا من شقائه يرمى على عائق خلق ابناء الجيل الماضي من الحكم.
فهم طبقة من ضعفاء الخلقت والإماء الطباع، من الذين يحاربون الناس في روزه. إذا ما خالفهم في الرأي فهم إذا يخطئان بين الصلاة العامة والعلاقة الشخصية مما سيب للعراق ولابنائه المصلحين كثيرًا من الذئب والضيم.

وان خضوع العهد البائد لتسلط الاستعمار وتشجيع سياسة القضاء على الافكار الخالة واحرار الفكر. دفع به إلى محاوررة الرصافي ملاحية أقل ما توصف به إياها بعيدة عن محاورة الرجل الكبير الطبع الحر النفس.
وكذا أيضاً قد ابتزنا قبل هذا إلى طموح الرصافي وذاته السياسي، فلذا فاننا نعتقد أن الشاعر قد جرى عليه طموحه الذي لم يرافقه المدأنة المطلية لروح العصر الذي عاش فيه الشاعر.

(17) ديوان الرصافي ص 277
قد تثار هنا نزعة اشعاره السياسية وفقدان الصلة العامة والمصلحة الشخصية في كل ما نظم من هذه الاعلام.

لا شك أن حصة الأشعار السياسية التي قيلت حياً وخدمة للعرب كثيرة وإن حب الرصافي للناس والأرض لا يتركهما شاك ولا تبقى لهما ريبة أما موقعه في الشخصيات المصلحة الشخصية فيه واضحة.

وبعد ثورة 14 تموز احتفل العراق بذكرى وفاة هذا الشاعر القد الأناناس الذي احتلته الهاشمية المنتظرة وتخطتها وأكمل على الاتجاه السياسي الشخصي وتخطت من ذكرى واجهة للديانة لنفسها ومساواتها أكثر من اتخاذها كذكرى للعلم والحقيقة والتنوير الصحيح. كانت نتيجة هذا الاحتفال كوابس لا يمكن التصور فيه وإن تالله من شيء ما. إن أغلب الكلمات التي قالها المحتفلون كان الله منها صيغة الغضب في وجه الأشخاص الذين في النظام السياسي معينة وإن هذا الغضب كان أقوى حتى من الدفاعية للجمهورية التي اتاحت لهذه الأحياء ذكرى الشاعر الخالدة.

وكان موضوع أغلب الكلمات خال من الدراسة العلمية أو التحليل أو التأمل ما عدا كلمات قليلة. إن كلمة السيد مصطفى علي في بعثه عن الرصافي والبيت الهاشمي جائت تصويرًا جانبياً واحداً وهو جانب النزاع ولم يذكر الكاتب الفاضل جانب المواقعة والمذبح ولم يملح إلى كلمات التي عرضت جانباً طرفًا كلمة الاستاذ صديق العلي بعنوان (الرصافي شاعر انسياني حي) وعلوا أعمق الكلمات قليلة كلمة الاستاذ كما ابراهيم (الثورة في شعر الرصافي) فالقلمي دراسة علمية مربكة ولو أن الكاتب حضر كلمة «الثورة» كعنوان للمقال وحاول أن يطق المحتوى على العنوان وهناك من المقالات ما لا يمكن أن يوصف إلا بأنه واجهة وأعمال سياسية كلمة وما الإسلامية والديموقراطية جمعون ما لا تشك فيه إن شعر الرصافي حمان ووجه فق الوقفة ما يرغب به لشرح فكرته دون الدخول إلى حقيقة ثابتة في ماهية إفكار الرصافي وتطورها واستقراءها الأخير وفي هذا خطأ على الحقيقة وعلى ما أعلم أن في بغداد أكثر من رجل من المختصين بالادب الحديث وقد كتبوا عن الرصافي قبل الثورة ولكنهم لم يدعوا للكلام في الموضوع وهم أقرب الناس إليه.
وخلاصة القول في ذكرى الرصافي إنها كانت وسيلة من وسائل الدعاية السياسية فقد انعدم فيها البحث العلمي، والغالب وطغت العاطفة على الحقيقة والخيال على الواقع.

فقد اراد بعضهم أن يخلق من الرصافي بدلاً ذا عقيدته ملونة بلون معين يحارب من أجلها، وما كان الرصافي، في واقع الأمر، ذلك الرجل وانما كان عراقياً عربياً مسلمًا قبل كل شيء يدافع عن العراق والعرب والمسلمين حتى في قصائده التي بدت فيها تزعمه الاشتراكية أو الأمانية، ومن قال غير هذا فسوف يعوزه البرهن.

2 - اراء الرصافي في الآداب والفن:

ترك الرصافي في كتبه وديواناته اراء متفرقة يمكن أن يكون الإنسان من مجموعه معرفة، مقارنة لما كان يعتبره الرصافي، وله اقوال الرصافي في (الشعر) هي أكثر اقواله شيوعاً في الديوان وفي كتبه الأخرى ولذا واحد أن نبدأ بالكلام عن رأيه في (الشعر).

درس الرصافي عام 1928 دروساً في العروض وترك في أول الكتاب وأخره ملاحظات عن الشعر وعلاقته بالفنون الأخرى لا بأس باستعراضها اقتباساً:

قال الرصافي:

"لا كان الشعر وليد الغناء وقررت أن يكون مطبقاً لما في من الحنان واقع، ولا يكون كذلك إلا إذا كان موازناً لتلك الاحيان في الحركات والسكنات وهذا هو الوزن في الشعر، وهذا تبين لك حكمة وجود الوزن في الشعر، وفلسفته.

نعم، لا ينكر أن الشعر قد يكون غير موزون كما في الشعر الشعور، إنا هو إطلاق بالمعنى العام: أي من حيث أنه يؤثر في النفس، تأثيراً شعرياً، إلا فالشعر بمعناه الخاص لا يجوز أن يكون غير موزون لأنه كما قلنا وليد الغناء وقرينة الذي لا ينفك عنه فالوزن إذن ضروري في الشعر..." (18)

وقال في آخر الكتاب:

"وآخر قول قولة هنا فتخدم هذه الرسالة هو أن الشعر وليد الغناء...

(18) الادب الرفيع في ميزان الشعر، وقوافيه، بغداد 1956، ص 11.
ولا تعتد ولا تحصى» (19).
وعلى هذا فان النصائفي يؤمن أن الشعر يجب أن يكون موزوناً ولا يجوز من الضرورى أن يكون من أوزان الخليل، إلا أنه يميز الخروج على الوزن والموسيقى في الشعر كما أنان كما أنه لا يمكن الأديب أو الناقد من الجهل بالجروح الشعرية لانه نوع من الثقافة التي يجب أن يعرفها الناقد أو الأديب حتى تكون ثقافته متكاملة، قال:
"لا شك أن الأديب الكامل في ادبته تلزم معرفة مصطلحات جميع العلوم والفنون لكي يكون كاملاً في ادبه من كل جهة فذا هو جهل مصطلحات علم من العلوم أو فن من الفنون كان ادبه نافضاً من جهة ذلك العلم أو ذلك الفن لأن هذه المصطلحات الكمالية قد تدخل في الكلام المنقول والمنثور، أما عن طريق التشياب أو عن طريق التوجه الذي هو في أنواع البديع، واما على طريق اخرى لا تعد ولا تحصى، فإذا كان الأديب جاءه تلك المصطلحات سهباً واستقصى عليه فيهما عند استعمالها في الكلام شعراً كان أو غيره.
أما أقواله في "الشعر" في الديوان فهي خليط متناقض من الافتكار القديم والحديثة التي يغلب عليها طابع المدح الشخصي الذي ييجه الشعراء لاقتسامهم شعراً ولحمهم هذه الاراء سوف نعرض بعضها، قال يصف شعره:
"وارسله نظراً يروق أسماه، فيحسه السفاح لاشادة تروى
فاحبة الحقيقة عارية.
ويشرح في ابيات أخرى رأيه في الشعر فيعت للثقافة من منايض القابلية الفنية وانها تساوي مثابرة اللهجة للمعنى والمعنى إلى النظم وان الشعر في رأيه هو الطابع لروح العصر والذي لا يقلد احدا وانه يأخذ المعاني الجميلة فيفتكساً بالناظر كاستاد الدار، وهو فيقول في شعره بيان الحقية لا غير: إذا اتت قصيدة فليس لي
ينشده شعرنا مطلباً عز نيله
ولنجد ما ما لنا ناشد
فلننقم قدر دون ما لنا ناشد
(19) نفس المصدر ص 125
(20) ديوان الرصافي ص 516
(21) نفس المصدر ص 14
ويعرف الشعر تعريفًا شعرياً بديعًا جداً، فالشعر هو الفن الذي يشرح الشعور ويعبر عنه بالموسيقى و"القطر" العواطف من وضر المادة فكأنه النبيق المرتبط بالقلب.

الشعر فن لتأزال ضروبه تتوال الشعور بالموسيقى ويجد تقيير العواطف للسوري فخاله لقلوحةه انيقًا وهو يقول عن نفسه بأنه طريق بحور الشعر كله "رهوأ ومانجا" (32)

ولا شك أنه يدعو الشاعر التنوع بحوره وهو ضد شعر المدح "وقلت أعضمي يشعر في المدح" (33) ولكن حقيقة الأمر هي غير ذلك والسبب في هذه الفلسفة التي يريد أن ينذها لأن الناس لا يستحسنون الهجاء أو الركاء لها لتفاهتهم وان قد يجبر نقطة المدح فتكون مليحة ساخرة (44) ويقول أنه لا يزيد مكافأة على الشعر وان أوجب أنه يكون "هاديا" (45) ومرشدًا ويثورد مرة أخرى نزعة مثالية لم يحققها الواقع، يقول ان شعره خال من المدح أو الهجاء وهذا شيء لا يؤكدته واقع حياة الشاعر.

تركت من الشعر المدحي لاهلها ونُزِهت شعري أن يكون قذاعاً لا شك أن هذه النزعة هي نزعة الشاعر في أول شبابه قبل دخوله إلى ساحة الميادين السياسي وسنأله إلى شرح أطوار شعريه الرضا فيم بعد وهو يعتقد - على حتى - بأن شعره من أجود الشعر وأصابه "كما نزحت عن شعر ركان" وهو يعتقد بأنه له سلسة سليمة في اختيار جيده.

ابت غثه واستوثقت من سببه..." ونان الشعر الركاب لا يبر على بإله وانه يطمئن الى الابتكار فيه وان الشعر أنه هو لب الخبر والiais والحكم (37) وكثيرا ما استخدم الشعر في سبيل الارشاد وحث الناس على المعرفة للمتعزين والضعفاء ونصير المسلمين (22) نفس المصدر ص 122.

(32) نفس المصدر ص 124
(33) نفس المصدر ص 123
(44) نفس المصدر ص 122
(45) نفس المصدر ص 194
(37) نفس المصدر ص 194
(38) نفس المصدر ص 194
قال:

هذه حكاية جائت الذكرها.
وليس يعرف على الأحرار مغزها.
وأولى الأمثال، يغفف الناس أرملة،
وأسرف الناس، من بالمال واساها.

وهو لا يميل إلى الشعر الغامض المعقد في المعنى، وإن كانت القائمة معلقة.

أحيانًا قالت:

إذًا غانيتي من الشعر من معي
وأوضح يأتين البيب التسمة (29).
والرافصي من المعجوبين بالفنون الجميلة كالتمشيل والتصوير والموسيقى.
والفناء.

فإن للذائج في النفس نشوة تخفف من حنين المواطف الكبيرة فهو يحدث النشوة التي تنطفىء في حشاك حرقة (26) وذان الفنو تريدى برقي الأسم.
فكلما كانت الأسم بدائية كان غناها بدائية جاهلية كانت تقيق الضفادع فالفن
عند الرافصي من فنون الحضارة (21) وهو في ذلك على حق.

اما مسارح التمثيل: فهي مدرسة اجتماعية تنشد الشعور وتعلم "الغافل".
وتلبس الحب من الخصال وهم بهذا لم يخرج بالمسرح عن الواجب الأخلاقي.
والاجتماعي وليس هذا هو واجب التفان دائما.

اما "المصور" فهو الذي يعكس لنا الحياة وقد يجد أحيانا مصورا.
أكثر مما يجد الآديب، ويغفو "الشعر النظائم"، واهدافه التصوير: "أن
يستطيع بها الشعر سمكها"، ويكدر رأى في المسرح في مكان آخر (23).

ويكرر قوله في التصوير في مكان آخر فهي تعكس لنا رأيا معاكسا وراء
التصوير للغرر مما يثير المواطف بدل أن يرسم بها:

منظر يترك المواطف مانا في هياج من الهوي وجمال.

(28) ن . ص 74.
(29) ن . ص 32.
(30) ن . ص 68.
(31) ن . ص 82.
(32) ن . ص 224.
(33) ن . ص 52.

- 235 -
وفي كتابه «دروس في تاريخ آداب اللغة العربية» (14) وهو من المحاضرات التي ألقاها في دار المعلمين العالمية حين أشتمل المحاضرا فيها بين 1933/1933، يعرض الرصافي اراءً وطريقة في دراسة الأدب، وفي نقد الشعراء والشعراء وتقديرهم.

ففي محاضرة «تاريخ آداب اللغة العربية» من الكتب المذكور يضع منه جامعين في دراسة اللغة، وادهاها كوحدة شاملة من حيث المفردات والاساليب والأدباء والآثار والبيئة، فهو لا يرى أن واحدا من هذه المكونات يفصل عن الآخر بل العكس هو الصحيح فإنها وحدة متكاملة يكامل انها آخر.

قد درست اللغة تستدعي:

1- دراسة المفردات والنظر في تطورها وشوكها ونموتها ودخول الغريب الإنجليزية فيها وتوقعها من حيث التركيب والاشتقاء والبحث في المعاني المختلفة للنظر الواحدة، وجود الرابطة بين هذه المعاني وعلاقة المعنى الواحد بالمفعولون الآخرين.

2- دراسة الأساليب والتركيب وكيف حدثت هذه التراكيب وماهي الصور والمشاعر التي ساعدت على خلقها، ثم البحث في المجازات والأساليب البلاغية واستخداماتها، ثم البحث في تأثير التراكيب، وموت بعضها واستحداث البديل دوناً لمرور الزمن وتطور الأمة أو انحطاطها.

3- البحث في النتائج الأدبية شعرًا وثرا والبحث في أنواع الشعر وما استحدث فيها من جديد، ثم البحث في النثر وانواعه وما هي الأساليب التي ساعدت على نمو فن معين واضعاف آخر.

4- دراسة أحوال الأمة ذات اللغة العربية ودراسة تاريخها وحياتها نأن مثل هذه الدراسة مهمة في معرفة هذه اللغة.

5- دراسة أقام الأمه وأحوال البلد الجغرافية وطبيعة ارته للنظر في مقدار تأثير هذه الطبيعة في هذا الأدب.

6- علاقة الأمة بجيرانها والبحث في الروابط الاقتصادية والاجتماعية.

طبعت في بغداد لآخر مرة عام 1379هـ/1960م وعلى هذه الطبعة

اعتمادًا في إقتباس توصيناً.
والعسكرية بين الإماة وما يجاورها لترى مقدار الاختلاف ومقادير التأثر.

- البحث في حياة الأفراد من رجال القلم وتبين نشأتهم وثقافتهم فإن ذلك
من الأمور المهمة في تقيم أدب احدهم ومعرفة المؤثرات فيه.

- دراسة أثار هؤلاء على أنماط أديات تستحق الملاحظة والتسجيل وقد
 يكون هناك تأثير وعلاقة بين الفرعين الآخرين وإن اتبعت النقاد لدراسة
 الأثر دون المؤلف والرسافي بعد هذا ليس من المؤمنين إلا بهذا النموذج
 من الدراسة المفصلة لفهم طبيعة الأدب ومعرفة المبدع من غير المبدع
 والجيد وهو يدعو إلى تأليف « دائرة معارف » للدراسات وتكون مفتوحة
 ببحث فيهما كل أنسان حسب اختصاصه على أن تكون ناسمه متوسطة
 ابتدأ تضم الجيد الذي يكتب وتأخذ بالتقدم الذي يكتسب ، وما دعا
 الرسافي في نظرته هذة إلى شيء خلاقي إذا علمنا أن العرب يعوزهم الي
 الآن دراسة علمية لإداهم ويعوزهم مجم تأريخي للغتهم.

وفي محاورته الثانية « ما هو الأدب وما هو الأدب؟ » يمد إلى مسألة
 خاصة من هذه المسائل العامة فيشرحها فيما نبكي من الكتب في فصول كما
 سرى ، فهو يعرف الأدب لغة وعرف الأدب اصطلاحا وهو يناظر بعض
 التعاريف للأدب ويحدد، ثم يضع تعريف للأدب والأدب كما يراه هو
 فالآداب ( هو كل من امتلك تالفة على البيان بارعة يستطع أن يصرف بهما
 كيفما يشاء فينقل بوصولها إلى مخاطبة كل ما توحيه إليها قراءة العقلانية التي
 لا تقل عن قدرته البيانية بداعة.).

والآداب : انة قدرة على البيان راسخة مؤينة بالقوى العقلية تصرف
 في التفوس قبضا وبسطا بما تنقله إليها وتصوره لها من وحي تلك القوى
 العقلية ».

وهو لا يحرم على الأديب أن يطرق الموضوعات الكثيرة وأنه ليس هناك
 من علاقة بين الخلق الحسن للأدب والاتجاه الأدبي فإن الأدبي صورة
 يرسمها الأدبي وقد تكون فاحشة وهو غريف وقد تكون عفيفة وهو فاحش
 فهو قريب في هذا من مراة ( ستندال ) في كتابه « الاسود والأحمر » ففي
 تمسك ما يعكس عليها سواء كان منظرا جميلا أو منظرا قبيحا وليس الأديب
 بالمسؤول إذا أتى الحياة كما هي.

- 272 -
ثم يبحث في « موضوع الأدب وغايته ». يعرض الرصافي لمناقشة نظرية « الفن للفن » في عبارتها في أول المعاشرة، ثم يفنّد فيها آخر المعاشرة وهو لا يدري فهو رحمه الله سمع شيئا وقرأ شيئا في النظرية.

هذا ما سمعه:

سمعت بعض المتدفين من أبناء الترك في الاستانة يقولون أن الأدب لا غاية له ويتواصلون في هذا القول حتى يعموا به ما يسمونه بالصناعات النفسية أو الفنون الجميلة وهي الشعر والموسيقى والرسم، ونحت هذه الصناعات كلها لا غاية لها عنه، بل هي الفناء وهي الفناء فلما رسم صورة كانت غايتهم تلك الصورة والشاعر إذا ما قال قصيدة كانت غايتهم تلك القصيدة وهم جرا....

ولقد تأملت في هذا القول فلم أجد له محصلة ينطبق على المعقول إذ لا ريب أن الغاية ما يكون لاجله وجود الشبيه، فهي إذ أن علة الوجود وليس من المعقول أن يكون الشبيء علة لنفسه فإذا قال الشاعر قصيدة فليس من المعقول أن تكون القصيدة نفسها هي الباعث له على قوله.

وقال عما قرأ:

ثم اني أطلعت على كتاب في علم النفس تقله من الإفرنجية إلى التركية نعيم بك الإبان مدرس علم النفس في دار العلوم بالاستانة قرأته في بحث قولهم «الصناعة للصناعة» وعلمت فيه أن ليس معني هذا القول أن الفنون الجميلة لا غاية لها بل معناها أنها لا تحتاج فيوجودها إلى ادخارتها عن غايتها، أي أن الشاعر لا يحتاج في صناعة القصيدة إلا إلى الاحتاظ وليس كالتجار الذي يصنع الكرسي باستخدام الخشب» وبدل هذا على أن الرصافي لم نفهم مداول النظرية مما سمع وان ما قرأه لم يكن واضحا...

ولكنه يعود وهو يشرح غاية الأدب شرا مطابقا فعلا لنظرية « الفن للفن » فيبدو وكأنه نصير متختص حقا قال:

أنا غاية الأدب هي حمل النفوس على الاتصال بنظام الكون قبضا أو بسطا للعوض ماوان شئت فقل أن غاية الأدب هي تسخير الأسماع واختلاط القلوب وإثارة العواطف وتهيج النفس بالبيان المؤثر فيها قبضا أو بسطا.
وجزناً أو سروراً وталماً سواء كان ذلك لعرض صالح أو غير صالح ولقصد شريف أو غير شريف ومن هنا تعلمون أن غاية الأدب ليست خيراً محضاً بل قد تكون شراً أيضاً ... وقد اختلط الرومي من قال أن غاية الأدب تهذيب النفس وتثقيف الأخلاق وتزويق أود الطبع فإن الأدب وإن جاز أن يكون واسطةً لتهذيب النفس وتحسين الأخلاق إلا أن ذلك معدود من فوائد المرتبة عليه لا من غاية إذ لا ريب أن في الأدوات كثيراً من مفسدات الأخلاق ....

وان هذا القول ينافض اقوال الرصافي الآخر في ديوانه كما رأى التقارير قبل قليل من رأيه في الشعر ولعل اقواله في الشعر هي الأقوم وهي الأقرب إلى منطق العقل وإن اقواله في شعره هي من بنات العاطفة فموقضاً عندما موقف المقارن لا موقف المؤمن الناطق بذا 2000

ثم يبحث في قابليات الأديب العقلية ويبحث في (الذكاء والخيال والعقل والحافظة والذوق) ثم يقسم الأدب إلى منظوم ومنثور ويفوض الشعر إلى رسائل ومسموع.

لهى يرى خطأً أن الأدب مرف في مراحل أوها الكلام المرسل ثم الكلام المسند وعدها طفر الأدب إلى مرتبة الشعر ولو عكسنا ذلك لعرفنا أن الشعر كان اسبق في الظهور من الشعر لاعتماده على الخيال والعاطفة أكثر من المنطق والتفكير والتركيز العقليين.

ويعمل أراء النقاد الإنساني في التمييز بين المنظوم والمنثور وله يعتقد أن الوزن والتقاليد إذا قيدا الناظر الشعر فان معانيه لا تتنطبق ويرى أن الشعر يكسبه الحنجرة وهب لابسبرتنا البطل وبألوانه بعواد معروضي وهو يرى أن الشعر قد يكون غير منظوم على هذا فالشاعر يظهر وجود الشعر الحر أو وجود الخيال الشعري في الشعر وخاصة المسنوج وهو يدعو إلى التعبير عن روح العصر في اللغة والشعر فتقول:

وليس اللغة سوى واسطة تعرف بها أن أفكارنا وترجمان حياً لنا ونعب عن حاجاتنا ولا ريب أن أفكارنا وحياته في وقتنا الماضي فكيف تقدم بلغته وهي قاصرة عن هذه الإفكار وهذه الحياة وهذه الحاجات فيجب أن تنفض من هذا الجوامد وان تنهض باللغة إلى ....
مستوى تكون فيه صالحة لافكارنا منطقة على حياتنا العصرية كافية لاحتاجاتنا.»

ثم يعرف الرصاصي الشعر بآنه: «مرآة من الشعور تتعكس فيها صور الطبيعة بواسطة الألفاظ انكاساً يؤثر في النفس استقباً أو انساباً.» وهو يرد في مناقشته هذا التحريف على تعريف العرب للشعر بأنه كلام ذو وون قافية فهو يرى:

ان المنظوم انتما سيشبشعراً لا يكون ذا وون قافية بل يكون في الغالب يتضمن المعاني الشعرية... فالوزن والتفاقيه غير مأخوذين في مفهوم الشعر بل في مفهوم المنظوم وآنه اخذ في مفهومه ليكون الكلام بهما من الاغاني لأنهما ضروريان للغناه.

ويعود إلى شرح نظرية تطور النثر إلى سجع فشعر وبعرض إلى اكتشاف السجع صدر فتم الأخذ به وتأسسه في الأسلوب تعصداً وأن صور السجع امتدت قرونًا عديدة ثم جاء دور الوزن ويوكل على عمل الاتفاق والمسدفة في اكتشاف الميزان الشعري.

ويشير إلى ما هو قريب من الوزن مصادفة من آي القران الكريم ويرى أن العرب قد غنت بالسجع وهو يذكر هذا دون برهاً، ثم ينتقل إلى القول أن الغناه ساعد بعد ذلك على ظهور الوزن وتكامله فظهر الشعر وساعد على ظهوره الرقص والحركات المناسبة: فخروج الموسيقى أو الرقص بصورة مرتبة مسبوطة دعت إلى ضبط الابناظ تولاً وقصراً وتسكيناً وتحريكاً، وهكذا ظهر الشعر ويرى - كما يرى الأولون - أن أقدم أنواع الشعر العربي هو (الترجع) لسبب واحد هو:

»احتمال وقوع وزنه في الكلام أكثر وأقوى من احتمال وقوع غيره من الأوزان لكونه أبطأ».

ثم يبحث الرصاصي في كتابه الموضوع الكلاسيكي الذي شغل بالنقاد من العرب التدامي وهو تقسيم الشعراء إلى طبقات ويقول أنه لم يتبنا فيما فعله النقاد «التي تنتجة مقبولة مما كتبه القوم في مسألة طبقات الشعراء».

ويرى الرصاصي أنه من الصعب الانتهاء إلى طريقة تصنيف فيها الشعراء إلى طبقات أو مجموعات من حيث الزمن يفوق عن هذا التقسيم:
وأما أدرى إياً فآيةً في هذا التقسيم فإن الغرض المطلوب من تقسيم الشعراء إلى طبقات غير حاصل به إذ يوجد قولنا أن فلا أشاع من الجاهليين أو الملحدين لا تتميّز منزلته في الأدب ولا سيما في الشعر إذ من الجائز بل من الواقع أن يكون في المولد من هو أشعر من بعض شعراء الطبقة التي فوقه وكذلك القول في الإسلاميين أو كذلك المخلصين حتى أن شعراء الطبقية الواحدة من طبقات الشعراء الخمسي (٣١) مختلفون أيهما في المنزلة فليسوا كلهم في منزلة واحدة في الشعر حتى يكونوا كلهم من طبقة واحدة.

ويناقش تقسيمات العرب للشعراء من حيث الجودة ويناقش الاستحالات التالية: (الخندز ADHD والملح والشاهد والشعرور) ويرى أن هذه التقسيمات غير واضحة الحدود وانها ببتى على اعتبارات فرضها الذي وضع هذا النهج وقد يجوز لغيره أن يضع منهجاً آخر

كما أن الفرق بين (الخندز والمنطق) أقيم على الاضطراب في كون الأول شاعراً وراوية وفي هذا ظلم للمدقق الذي قد يكون شاعراً جيداً إلا أنه ليس براوية أما الرصافي فبعل هذا النهج ويقول أن الشعراء أربعة:

١- الشاعر المبدع المبتكر
٢- الشاعر الملحن مع جودة
٣- الشاعر الذي يأخذ من غيره
٤- الشاعر العادي الذي دون ذلك

ويبدع أيضاً على تقسيمات القرشي في (جغرفة الشعراء) الذي جمع القصائد ووضع لها اسماء وقسم شعراً بها تبعاً لذلك مثل الطبقة الأولى وهم أصحاب المعلقات ثم الطبقة الثانية وهم أصحاب المجرمات الخ

ويسأل الرصافي عن تقسيم القرشي ويقول:

لماذا جعل أصحاب المعلقات من الطبقة الأولى وأصحاب المجرمات من الطبقة الثانية وأصحاب المنتقات من الطبقة الثالثة وهؤلاء هم كلههم جاهليون فأهم تسبيه قصائدهم بهذه الاسماء وتمييزها بهذه الألقاب هي التي اقتضت ذلك فان هي الأسماء وسوها وهو وضعها ليس بها فيما يدعى من سلطان

(٣١) أي من الجاهليين والمخضرمين والمسلمين والمولددين والمحدثين
والرسامى نفسه يميل إلى عدم وضع منهج للتفاضل بين شاعر وآخر ويرجع رأيه بما يلي:

وإذا مع ذلك لا ارى فائدة من تقسيم الشعراء إلى طبقات متفاوتة لأن الاجادة لا تنتهي إلى حد معلوم ولننا نستطيع في كل وقت أن نوازن بين شاعر وآخر ولكننا لا نستطيع أن نوجد حدودا واضحة بحيث تشمل جميع الشعراء الأولين والآخرين وتقسيمهم إلى طبقات ينفصل بعضها عن بعض بفصلٍ يشبه فلنضرب عن هذه المسألة صفحا... 000000

ثم يبحث الرصافي في (الأسلوب) ويقوله إنه «هو الطرز الذي ينجح فيه رد الكلام والطابع الذي يتطبع فيه حملة وتراكيبه» ويرى أن لكل شخصية أدبية أسلوبها خاصا وأن كان بعضهم يقلد في أسلوبه كابناب ميلاس إلا أنه اعتبر الشخصية أو ما يسمى الرصافي "النفسية والعقلية" لا بيد أن يظهر ويري أن أساليب الكلام لا يمكن أن تعد ولا تحصر وتتعدد بعدد الأدباء وتتكرر في الأسلوب النثر وقسم النثر إلى تهكمني والقصيدة والسيرة وليس ذلك مثلاً ومنشور أدبياً. 

وقد يهدف المثبور للأدب إلى الاعناقة باللفظة أكثر من المعنى كما في السجح ثم يعد انواع السجح وهي "المكرر والمتوارى والمتوارى والمرسوم".

وقال ان الترسل والسجح هما من أساليب الكلام عامة. أما الأساليب الشخصية فيمكن أن تظهر بوضوح في النثر المرسل ويوضع لها منهج للبحث عن الأسلوب شخصي في النثر فان بعض الأدباء يعيون ما اسمه الرصافي (الصورة المستقلة) وأساسها بهذا الاسم "لاستقلال الجمل والترابط فيها" ببعضها عن بعض بحيث عينه إذا سقط منها شيء لا ينطب عني الباقى ولا منعني استقلال الجمل وعدم وجود التناسج والترابط بينها بل هي في معناها متناسية وفي مقاسدها متلازمة وإنما نعني باستقلالها كون كل واحدة منها تامة المعنى مهتمة بنفسها بحيث لا توقف فيها على فهم غيرها 000000

ويسمى الصورة الثانية للأسلوب الشخصي ب(الصورة المستديرة) وهي: "أن يكون الكلام مؤلفاً من جمل مطولة متتالية مرتبط بعضها البعض لا تستقل احدها عن الآخر ولا يحصل القارئ على تمام المعنى إلا عند ختامها بحيث إذا سقطت منها جملة اختلت معنى الباقى منها فهي إن على العكس مما كان في..."
الصورة المستقلة يوقف تمام المعنى على الإحاطة بعاني الجيل كلها فيها».

ومن تركيب الصورتين يحصل لدينا مايسميه الرصافي (الصورة المتساوية).

وهو يعتبر (الصورة المستقلة) أرضي هذه الأساليب الثلاثة.

كما أن المهم في تفصيل الإداب هو اقتراض الإداب من الحياة فإن ادب
الإداب إذا كان بعيدا عن الحياة لا يمثله فهو ليس بادجيد والسؤال الذي
يختلف في خاطري الآن هو ماذا يعني الرصافي بقوله «ان يكون الكلام (مثلا
للحياة) بجميع وجوهها ومنطقاتها من جميع مناحيها؟» فإن كل ادب فردوي
سواء كان فردية النزعة أو اجتماعي النزعة يعالج الحياة من جهة معينة وهو
يفخر بالتجديد الذي حصل عليه النثر والشعر والاخذ بالمواضيع الإدابية
والاجتماعية والسياسية والروائية والتاريخية والعلمية ويرى أن مهمه في الإدب
ليس في نذيه الفن بل بقدر ما يعكس من روح العصر فهذا المصعود بقوله
(مثلا للحياة) هو أن يشجع الشعر بالنظرات والعلوم والآراء الاجتماعية
ب وذلك ؟

هل هذا يفسر لنا ندرة الغزل في شعره وبرودة عاطفته ما ورد في الديران ؟
ويتكلم الرصافي في (الفصحي والعامة) في آخر فصل من كتابه ويفحث
في سقوط الأعراب من العامية وبعد هذا تطورها وكمالا ويفقول «ان سقوط
الأعراب من اللغة العامية لا يجوز ان يعد انحاطا في اللغة بل هو ارتقاء» ولا
يرى كما يرى التحريون ان هذه الحركات نواة وضعت لتعزيز معانيه لأنه
ينتفض ذلك تفاهمنا بالعامة دون وجود الأعراب وعلى هذا يعتبر الرصافي
الأعراب في الفصحي من الكمالات وليس من الضروريات فيها.

ويرد الرصافي على القول الشائع ان (اللغة العامة الدارجة اليوم والتي
هي غير معرفة كلمة) ويرى ان هذا الخلط جاء من وهمه لتعدد لهجات
القبائل.

وإن اختلاف لهيجاتهم لم يستدعهم الى هجر الأعراب فيها وعلى ذلك فإن
الرصافي يرى الرأي التالي:

«لم تكن لهم (أي العرب) لغة عامة خاصة بطبقة منهم دون أخرى للغتنا
العامة اليوم» ويعتبر الرصافي في الدفاع عن وجهة نظره بقوله:
وعدد ورد ما يدل على تكلم العرب باللغتين فصحي وعامية.
ولنا عودة في بحث مستقل نتالج فيه موقف الرصافي من شخصيات العرب الإدارية كأبي العلاء العري واللتين وترجح في وجهة نظره وردوده على الذين خاضوا في هذا الموضوع.

3 - اراء الرصافي الفلسفية والاجتماعية والسياسية:

 للرصافي اراء فلسفية متأثرة بآراء الخيام وأبي العلاء العري فهو من المؤمنين بالحجر ولذلك يقول:

"لا تنمني إذا جزعت فانسي ما ملكت الخيار في إيجادى.

ويقول:

"ومن المجر إلى المجر في حياته، وإن فلنا انه كان خائراً، وهو كثير الشك في مصير الإنسان مجبول على الشر. وإن عدم وجود خير من الوجود نفسه:

وفي علمي لاحترمه غير نادم، بدا خطيبا والشرة ضريبة لازم.

هناك رأينا خلفه الف هادم إلى الحق الا صد ا للف ظالم.

وأما جاء منهم عادل يستبهم جهل كجهل الناس حكمة خالق، وغاية جهادى التي مذ علمتـه.

ويمهد في كتاب "دراسات في التاريخ أداب اللغة العربية" إلى اعتقاد مجدد معتزل، آخر يعكر هذا التيار وهو مبدأ "ليس في الامكان احسن مما كان .".

فهو يقول:

"كل ما يجري في الكون من الأمور الطبيعية حسن وهو مع ذلك عدل لا جور منه لأنه ناتج عن اسباب وعلل خلقه الله في طبيعة الكائنات فالنتائج الحاصلة منها ضرورية لا بد منها فكيف نتفنف بها جائرة وكوننا كذلك ضروري".

(37) ديوان الرصافي ص 18
(38) ن م ص 274
(39) م ص 144
لا بدي منه 0000 (و) إذا افتكر (الإنسان) فيما جرى ويجري من الأمور الطبيعية
لم يعد بدا من أن يقول: ليس في الإمكان إبداع مما كان (14)

وهو من المؤمنين بعيش البساطة ويكذر ذلك في ديوانه فهَوَّقُ يقول لولا
طموحه لفضل عيش البادية على المدينة وكان الرصافي من المعجبين بفانتزي
ناسك الهند وحين ليس الزي العربي وتغلي عن اللباس الأوربي هذه لذا

بقوله:

فذا زى يتم به وجعوـي إلى عيش بسيط ذي هواء
والرصافي في نظرته إلى المجتمع الإنسانى اشتراكي فهو من الذين اطلعوا
على طرف من ثورة روسيا وأعجب كما يبدو بعض طرقها في معالجة العدالة
الاجتماعية فهو يقول:

وهما مدينة الأقوام الا
وهل يصح فساد الناس الا
Uluslararası للملاجئ للمصاة
(15)

وهو في عجز البيت الأخير الذي وضعته بين قوسين يشير إلى الاشتراكية
الإسلامية الأولى ومطعم مسجد رسول الله في المدينة. وهو يشير إلى تسلط
العائلة المالكة واستغلال الشعب قائلاً:

ليس هذا في مذهب الاشتراكية إلا من الأمور المحالة

وقال بعد ثورة الشرين:

الانكليز مطامع بلادكم
(16)
لا تنقضي إلا أن تبلشتمها
وهو من المؤمنين بنظام الحكم الجمهوري ومن المشجعين عليه يقول:

إن الحكومة وهي جمهورية كشفت عما كان قلب مضال

(40) دروس في تاريخ أداب اللغة العربية ص 70
(41) ديوان الرصافي ص 217
(42) م ص 83
(43) م ص 401
وهو يعارض في وجود الملكية ويجب من أمر الناس واطاعتهم للملوك ويشبههم بالعاصم الذي يعده الناس أولياء ثم يستجاب لها ويعظم قائل:

أن الملوك كالعاصم مألهة الناس تحتها والناس تعبدها (44)

وهو قد دعاlayi وحدها اجتماعية كاملة دون النظر إلى التنسيق الديني بين الأقليات فالمجتمع وحدة يسعد بإضافته ويستسيغ برفرته وظهور الحزارات بين إبنائه ولذلك فقد استمر حين أعلن الدستور عام 1908 فقال:

هي المسافة عمتنا فيما تركت فضلاً لبعض على بعض وتميزا (55)

وقد ظهرت هذه الفكرة مرات متعددة في الديوان وعلى فترات مختلفة وإن الرصاص كان رسمه دون شك في شعب المعاطف الطائفية والدينية وكأن يمكن أن يتقدم بها لو أراد استغلالها والاستفادة منها وشارك الرصاص شراء الفترات ومفكريهم في الدفاع عن شخصية المرأة ولم يتهم الدين في تأخرها - وهذا هو الواقع - بل اتهم العادات ورجال الدين الذين تسكنوا بها أكثر مما تسكنوا بجعمر الدين قال:

عناكب الجهل كم القت بادغمة من الأنام نسيماً من خرافات فجرموا وأحلوا حسب اعتادهم وشوهوا وجه أحكام الديانات

وذكر بعض رجال الدين:

ارى هؤلاء ضعاف العقول والذين قد تراهم علاج الرقاب تضيق عن الحقوق أراهم البعض وان ليسوا واسعتا الجبه (45)

وقد تعرض الرصاص (للحجاب) على أنه عادة اجتماعية تقلد فقط وكان له رأيه الخاص في بعض المسائل الإسلامية فنقول عن المرأة:

منقوسة حتى بيداً فالمرأة،

وقصة الميراث مسألة دينية بحتة.

(44) ن 30 ص 6
(45) ن 30 ص 3
(46) ن 30 ص 41
وهو يقول ثانية في (الحج):
"لو حكم العقل الحكيم بحجلهم
ويقول مرة أخرى في (الوحي):
لا من يرى الاديان قامت إلا أننا يجب أن نقول أن الرسولي من دافعوا عن الإسلام وشرحوا جوهره وهو الحب والعدل والمساحة والحريات على الحياة والعلم وهو يقول:
"يصدق ذويه عن طريق التقدم فماذا على الإسلام من جهل المسلم وان كان ذنب المسلم اليوم جهله وما ترك الإسلام للمرء ميزة على مثله من لأدم ينتسب و لا عربي بخمسه فضل أعجمي.
وهي أعظم هزوة في الإسلام في ثوب السياسة والقوة وهو في دفاعه عن الإسلام أصدق منه في هجومه وهو من المؤمنين بالله وبعدله ويعتقد بعقيدة المعتزلة، ليس في الأمكان اбед أو حسن مساكان.

وهو من المحبين الذين نكروا هجومهم على الإسلام في نوب السياسة والقوة وهو في دفاعه عن الإسلام أصدق منه في هجومه وهو من المؤمنين بالله وبعدله ويعتقد بعقيدة المعتزلة، ليس في الأمكان ابدع أو حسن مساكان.

وهو من المحبين الذين يستمرون على الإنسان ضعيف فهو قد عطف على المرأة ودافع عنها: مطلقه وفقة ومظلة، ودافع عن الاطفال الصغيرين: يتيمه ومخدوعه وكان يفرح كمرح الأطفال حين تتبنى مدرسة أو يبني ملجأ لللاطفال وضع في أشعاره كثيرا من قواعد التصحيح والارشاد للشباب والمرأة.

وهي نصائح محب للإنسان ضعيف والطفل العاجز.

فمن اثره التربوي في التعليم إلا يكون نظرا خالسا ولا يكن المرء من الضغط على تلبية ويكثر عقبته ودعي منذ فترة مبكرة (1939 م) أي قبل أكثر من ثلاثين سنة على الأقل إلى توحيد المناهج التعليم في بلاد العرب، فهنا هو يقول:
"لا تجعلوا العلم فيها كل ما يتجه يتجه، بل علموا النود وعلموا ينتج العلم.
وجنوههم على فعل معاينة.

(48) ن 4 م 187
(48) ن 4 م 186
(47) ن 4 م 187
(47) ن 4 م 186

247
كأن العقاب يزيد النفس شاركته
ثم انها في بلاد العرب اجمعها
كنا كئلا للشجاعة وحيدا رجلا
ودعا الشباب إلى التزويج عن انفسهم من العمل الجاد بين حين وآخر

وإذا ما اشتعلت بالجد ساعا
فهل فسوعة واستحكم
وقال: لا يبد من هزال النفس فجدها
وهي هو يدافع عن الطفولة المشردة.

ولمن اللوم ان ترى عندنا الاطفال
لتفصيل لانهم فقراء
لا غذا في جوفهم لا كساء
وأن علاقة الرضا في المرأة التي دافع عنها غامضة فلأظهر أنه كان قد
وقع في الحب حين كان في القسطنطينية.

قال:
لكن قلبي لا يزال يسوخ على أقام بدار كسطنطيين
ولكن مع ذلك لم يتزوج فهو في ديوانه يشير إلى ان قلبه وسع كل
النساء ولذلك لم يتمكن أن يختار احدهم فهو يميل إلى البيضاء وحمراء
الخدت والحمراء والصفراء والسراء:

لا ان حبا بل قلبي انطلوب كبيرًا قلناIKE واحدة
أما حبه لامه فهو حب عاطفي صادق عميق ن
أذا ما تذكرت العجوز بكتهما
بمعه بهاءها تطفو وتغرق.
وأما شرقي بالدموع يا ام وحده
وأنا روحي عند ذكر الأشرقي.

(49) ن 0 م 87
(50) ن 0 م 107
(51) ن 0 م 235
(52) ن 0 م 168
(53) ن 0 م 344
(54) ن 0 م 355
(55) ن 0 م 349

٣٥٨
وهو على علاقة مبطنة مع ابنه خالته (نسمة) فهو معجب بها.

ويشتركة الزهاوي في ذلك - بان (القوة) هي السبيل الوحيد لاحترام الكيان الشرقي، وانالعرب كقوة لا يوجد إلا بالقوة. وان في ذلك كثيرا من الصدق والحق كما برهن لنا التاريخ في الخمسين سنة الأخيرة.

قال:

"فلا عيشه في الدنيا من لا يَنْصَبُ رؤيا على دفع الذرى والمكارة (65)
وتناثر في شعره بعض الافكار العلمية واقتباسات بعض نظريات الجغرافيا والفلك وهو يستعين اقوال صحبه الزهاوي في (الذرح) و (الدفم).

وتأكد ذلك اذا أعلمًا ان الزهاوي هو أول من وضع نظرية (الدفم). هذه.

4 - تقييم شعر الرصافي:

يمكن للإنسان - حينما ينظر في شعر الرصافي - أن يقسمه إلى ثلاث تيارات بارزة. التيار اللفظي والتيار الاجتماعي والتيار السياسي.

كان التيار الاجتماعي واللفظي يقابله على شعر الرصافي حتى حدود عام 1920 في الطبعة الأولى في ديوانه عام 1910 في بيروت، كان الرصافي يبشر بمستقبل فكري فائق.

ولكن الظروف السياسية والبيئة التي عاش فيها الرصافي أضعفت التيار الفكري واضطرت الرصافي إلى الخوض في السياسة وخاصة شعر الهجاء السياسي الشخصي مما سبب تفشي ثقابه المتناثرة الأخرى.

وكان في فترة شاعره الأولى قد أخذ لنفسه خطة امتاز إليها في ديوانه بأنه قد ابتعد عن المدح والهجة، وإنما نذر نفسه للحقيقة الإنسانية والحقيقة العلمية، ولكن الذي حدث - مع الأسف - أن الرصافي - في فترة حياته الأخيرة - عالج الهجاء والمدح والشعر السياسي الشخصي أكثر مما عالج التيار الفلسفى أو الاجتماعي.

أن بيئة الرصافي ومظروف العراق والعرب السياسية مسؤولة إلى حد بعيد عن ضياع هذا المفكر الفذ، وإن الحياة في العراق مسؤولة عن بضعة طاقاته الذهنية في موضوعات تافهة وفي قصاصات مدح وهجاء أشخاص زائرين يزول معهم ما قبل فيهم من شعر.

(5) ن م ص 37 - 469 -
ان هذا يدفعنا إلى القول أن أغلب شعر الرصافي السياسي سوف يُعرّض للثناء بحكم طبيعة الموضوع الذي يعالجه وقد يجد هذا القبول ردوما ملحوظاً من الذين يتذكرون حوادث الأمس القريبة.

إي اعتقد أن حوادث الأمس القريب قد تحدث كثيراً ولذلك فهي لا تزال تثير فينا المواطف المتضاربة حين تقرأ اقوال الرصافي فيها وفي شخصياتها ولكن بعد أن تنقطع هذه العلاقة بين هذه الأحداث والأجيال القادمة وتصبح الأمس القريب امسا بعيداً ويصبح العهد الملكي الذي دام حوالي أربعين سنة بالنسبة للأجيال الآتية كمهد دولي للخروج الأوروبي والأصول الأدبية بالنسبة لنا فإن يثير فيهم شعر الرصافي السياسي أكثر مما يثير فينا شعر قليل في هجاء أو مدد سلطان أو حاكم أو وزير عاش في تلك العصور

المجتمع العبدية

كما كانت مرّ علينا منذ سقوط بغداد عام ٦٠٩ هـ ؟ كم ٥ أربعين سنة قد مرت ؟ كم من أحداث هذه القرون أصبح يشتغلنا وتثير فينا المواطفة والحماس والحب والكره.

إن كل رجال هذه القرون وكل عواطف هذه الأجيال تجبرت واستسلمت بالنسبة لنا شبه بحارة أو صخرة أو تشال في متحف !!!

فهكذا يكون شعر الرصافي السياسي بالنسبة للأجيال القادمة سوف تصبح أسما الساسة والملوك والأشخاص الذين هاجموه أو رثاه أو مدموهم مجرد خروج لا يثير التنظيف بها حقداً أو كرها أو حبا أو اعتجايا لأنهم سوف يكونون قد أغرقوا في القدم ولم يختبئوا في التاريخ غير أسماهم مجرد من كل ثمان وسبعونون قد أصبحوا قادرين لتشهم ضباب الجهل بهم وعدم الحاجة لهم وأسلوبهم.

ماذا يبقى من الرصافي الذي شغل أذهان العرب منذ أكثر من نصف قرن حتى الآن ؟ لا شك أن الشعر الذي يشل اتجاه الرصافي في الفلسفة والاجتماع هو الذي سوف يبقى وحده وليس كله أيضاً من دون شك.

عالج الرصافي في شعره الاجتماعي أحداث المجتمع ونظم قصصاً شعرياً
الشحوص اخترناها لنا كشخصية الطفل السليم في العيد والمهجورة وأم أجاجة الرصافي في هذه القصص لم تكن عالية فهو لم يجد العرض والرد كما اجاد الزهاوي وأنه كان دائما يتغزل بين البطل ليخبرنا عما يفكر هو نفسه. وكان يتخذ القصة وسيلة للتشييد والتقييد وما الهمما وإذا اضفنا إلى ذلك لغة الرصافي الخطوية واسلوبه الذي لا يتفق وروح القصص التي تحتاج إلى سرد سهل ولطف هامس، وقد شغل الرصافي كثيرا حتى في اختيار اسماء الابطال، فاللغة تضطر أن تطلق اسماء بعيدة عن روح الواقع مثل (يوزر) وما اليه.

ان الرصافي من أقدر شعراء العرب سلطة على لغته ولفظه في حيث تتوفر له لفظته في أن الإنسان ليحار في القدرة الحبيرة التي يملها الرصافي في السيطرة على قلبيه وعلى التلاعب بها كما يلعب الفنان بالوانه وتناسقه ففي سهولة يسير يأتي الرصافي في اللقطة المناسبة في الوقت المناسب.

بعض النظر عن وضوح الكلمة وغموضها وان الرصافي في شعره السياسي وشعر القاهر والهجة قادر على انتبهار فيها المشاعر التي يحس بها أو التي يريد أن ينقلها الي النا فهوم يمكن أن يتركنا تأقف أو يمكن أن يضعنا في سبولة ويسير. وهذا هو سر الفنان المستأنسان برف، ولا يوجد في ديوان الرصافي شعره غزلا ممتازا ولا يوجد شعر كثيرا في هذا الموضوع فالرصافي قد شغل الأسرام وشغله بينها من الأطراف إلى الحب والظاهر انا ذوي الحب الحمي أكثر من الذين يفسلون الحب فيكنو في فلوعة الحب لا تخمد عند الرصافي بالشعر وإنما يطهأ بالألم الجزافي من شعر الحب وما ترك لنا يصرخ بالصراخة الصينية كنصيده (بداية للاخلاء) التي لم تنشر كلا في الديوان وقد تواتر خشيذودة الجنسي وبعض علمائه.

قد شوهدوا من الطوق وهم يعيشون اليوم في بغداد.

أنا الرصافي في تسميتها الأناة المتكيرة الغاضبة في شعره السياسي يمثل حياة جيل من الناس وحياة بلده في أكثر مننصف قرن. وله كـكان أكثر الناس برلا بوته وأكثرهم جهادا في سبيله حتى قتله هذا الحب وهذا
الجهاد صيرا، رحم الله الرصافي. فقد كان شاعراً وكان يجاهد بهذا الشعر.
فهو السيف الوحيد الذي كان ينشر في وجه الامل والظلم والطغيان حتى
ولو عرض شعره واسمه للضائع في المدى البعيد.

أ - مراجع البحث
اتحاد الأدباء: مهرجان الرصافي 1959
الرصافي: الإدب الرفيع في ميزان الشعر وقوافيه 1960
ديوان الرصافي قاهرة 1949
تاريخ أدب اللغة العربية 1379
محمد السهوردي: لب الالباب 1351-1350 مه.
ب - آثار الرصافي
ـ ـ الإدب الرفيع في ميزان الشعر وقوافيه 1956
~ ـ تعامل التربية والتعليم 1948
~ ـ دروس في تاريخ أدب اللغة العربية 1938
~ ـ دفع المرافق في لغة العامة من أهل العراق (نشر قسم منه في مجلة
لغة العرب) بين 1928-1937
مجلة 1 1936 ص 146-150
مجلة 1 1937 ص 147-150
مجلة 1 1937 ص 148-150
مجلة 1 1937 ص 149-150
مجلة 1 1937 ص 150-150
مجلة 1 1937 ص 151-150
مجلة 1 1937 ص 152-150
مجلة 1 1937 ص 153-150
مجلة 1 1937 ص 154-150
مجلة 1 1937 ص 155-150
مجلة 1 1937 ص 156-150
مجلة 1 1937 ص 157-150
مجلة 1 1937 ص 158-150
مجلة 1 1937 ص 159-150
مجلة 1 1937 ص 160-150
مجلة 1 1937 ص 161-150
مجلة 1 1937 ص 162-150
مجلة 1 1937 ص 163-150
مجلة 1 1937 ص 164-150
مجلة 1 1937 ص 165-150
مجلة 1 1937 ص 166-150
مجلة 1 1937 ص 167-150
مجلة 1 1937 ص 168-150
مجلة 1 1937 ص 169-150
مجلة 1 1937 ص 170-150
مجلة 1 1937 ص 171-150
مجلة 1 1937 ص 172-150
مجلة 1 1937 ص 173-150
مجلة 1 1937 ص 174-150
مجلة 1 1937 ص 175-150
مجلة 1 1937 ص 176-150
مجلة 1 1937 ص 177-150
مجلة 1 1937 ص 178-150
مجلة 1 1937 ص 179-150
مجلة 1 1937 ص 180-150
مجلة 1 1937 ص 181-150
مجلة 1 1937 ص 182-150
مجلة 1 1937 ص 183-150
مجلة 1 1937 ص 184-150
مجلة 1 1937 ص 185-150
مجلة 1 1937 ص 186-150
مجلة 1 1937 ص 187-150
مجلة 1 1937 ص 188-150
مجلة 1 189-150
مجلة 1 190-150
مجلة 1 191-150
مجلة 1 192-150
مجلة 1 193-150
مجلة 1 194-150
مجلة 1 195-150
مجلة 1 196-150
مجلة 1 197-150
مجلة 1 198-150
مجلة 1 199-150
مجلة 1 200-150
مجلة 1 201-150
مجلة 1 202-150
مجلة 1 203-150
مجلة 1 204-150
مجلة 1 205-150
مجلة 1 206-150
مجلة 1 207-150
مجلة 1 208-150
مجلة 1 209-150
مجلة 1 210-150
مجلة 1 211-150
مجلة 1 212-150
مجلة 1 213-150
مجلة 1 214-150
مجلة 1 215-150
مجلة 1 216-150
مجلة 1 217-150
مجلة 1 218-150
مجلة 1 219-150
مجلة 1 220-150
مجلة 1 221-150
5 - دفع اللجنة في ارتضاح اللجنة - قسطنطينية 1912/1323هـ
6 - ديوان الرصافي بيروت 1910

وقاهرة 1935
ويروت 1931 (مزيدة)
وقاهرة 1949 ج 1-3 (مزيدة)

7 - الرسالة العراقية (خطر)
8 - رواية الروؤية ترجمها عن نابق كمال الكاتب التركي. بغداد 1909
9 - رسائل التعليمات. بغداد 1944

10 - الشخصية المحمدية أو حل اللغم المقدس (خطر)
11 - على باب سجن أبي الملاء. بغداد 1942
12 - في عالم الذباب (رد على كتاب بهذا العنوان)
13 - كتاب الآلة والإداة (خطر)
14 - كتاب خواطر ونوادر (خطر)
15 - مجموعة الانتاقد المدرسية. بغداد 1920
16 - محاضرات في الأدب العربي. بغداد 1922

وبداد 1947
وبغداد 1979/1990م

17 - مذكرات الرصافي (خطر) في ملكية عبد صالح الرصافي و«كامل الجادرجي وأبراهيم الواثلي»
18 - نظرة إجمالية في حياة المنتج. بغداد 1959

19 - فتح الباب في الخطابة والخطيب. 1917/1929هـ

ج - مراجع دراسة الرصافي:
1 - إبراهيم السامرائي: لغة الشعر بين جيلين. بيروت 1937.

- 205 -
4 - اتحاد الأدباء : مهرجان الرصافي • بغداد 1959
5 - أحمد فضيل الحمادي : المرأة في الشعر العراقي الحديث • بغداد 1958
6 - نور الدين الرحاني : قلب العراق • بيروت 1935
7 - نور الدين الرحاني : ملك العرب • القاهرة 1957
8 - بدر الدين طلابنة : معرفة الرصافي • القاهرة 1959
9 - الحكومة العراقية : الدليل العراقي • بغداد 1936
10 - جميل سعيد : نظرات في التيارات الأدبية الحديثة • القاهرة 1954
11 - الشيخ جلال الحنيف : الرصافي في أوجه وحضيضه • بغداد 1922
12 - داوود سلمون : تطور الفكر والأسلوب في الادب العراقي في القرن التاسع عشر والعشرين • بغداد 1959
13 - روافد بطي : الأدب العصري في العراق العربي • القاهرة 1933
14 - رؤوف الواعظ : معرفة الرصافي : حياته وادبه السياسي • القاهرة 1957
15 - سعيد ميخائيل : أدب العصر في شعرا العراق والشام • مصر
16 - سعيد البدر : إرادة الرصافي في السياسة والدين والإنسانية • بغداد 1951
17 - شوقي ضيف : دراسات في الشعر العربي المعاصر • القاهرة 1959
18 - عبد الصادق شكر : بحوث ادية في بغداد 1965
19 - عبد الصادق شكر : عبقية الرصافي • بغداد 1958
20- عبد الصاحب شكر: المنهل الصافي من ادب الرصافي. بغداد 1950.


23- محمد جمال الدين: الآداب الجديدة (نماذج شعرية). نجف د.ت.

24- محمد السهوردي: لالباب. بغداد 1951/1351هـ.


26- مصطفى علي: الرصافي صلتي به وصيته بمؤلفاته. القاهرة 1948.


31- يوسف عزالدين: الشعر العراقي الحديث وآخر التيارات السياسية فيه. بغداد 1379هـ/1960م.


33- المجلات والجرائد: راجع: "خلدون الوهابي" - مراجع تراجع الإدباء العرب (مادة الرصافي) الجزء الأول. بغداد 1375هـ/1956م.

داود سلوك
بغداد 1966.